لَيْلَةِ الْقَدْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (5)

في محاولة للاقتراب من المعاني المرجوة من تلك الآيات يجب ان نُقر بعدة فرضيات عامه تبدو كلها متمثلة في هذه السورة:

- مراد النص الحقيقي يبقي حبيسا في عقل المتكلم ودائما ما تكون اللغة ومفرداتها محددا ومستنطقا لبعض المعاني حين يكون بيئة المُخاطب وايدولوجيته وهواه باعثا لمعان اخري، أي ان الله وهو وحده من يعلم بالضبط تأويل ما أنزل ويبقي مراد النص الحقيقي حبيسا مجهولا.
- المعضلة او الفرضية الثانية، ان المرويات تتضخم كلما ابتعدنا عن زمن الرسالة وتتواري الحقائق – التي لم تشغل بال الأولين – خلف الأيدولوجيات والاختلافات السياسية وخلف الأهواء التاريخية ثم تمتد هذه المرويات لتختلط بما اعتقدنا او أردنا ان نعتقد انه حدث لتصبح متخيل جمعي يمتد ضاربا في الأنثروبولوجيا.
- وأخيرا فأن المسلمين الأوائل أرادوا وتمنوا بشده علي الرسول ان تكون لرسالته معجزات تشخيصية كما هي عند اليهود والنصارى، حيث عاش المسلمون الأوائل نضج دعوتهم في المدينة وسط اليهود وارادوا لدينهم ما كان عند اليهود والأمثلة كثيره فقد سألوا الرسول عن الصوم حتي تنزلت (كتب عليكم الصيام كما كتب علي الذين من قبلكم)، سألوه عن قبلة لهم حتي تنزلت (فلنولينك قبله ترضاها)، لم يفهم المسلمون

الأوائل ان معجزات اليهود والنصارى كانت في زمن كان المجتمع الإنساني فيه بدائي لا يفهم الا ما يري ولا يُرجع العله للمعلل فتأتيه هذه الظواهر في مقام المعجزات، أما في زمن الرسالة المحمدية كان العرب قد عرفوا التجارة والتعاقدات وبلاغه الحديث وجاءت المعجزة داخل منظومة القيم التي عبرت عن حالها في ضمير التابعين. الا ان المسلمين الأوائل ومن بعدهم السردية التاريخية كانت دائما ما تلح على معجزة تشخيصيه وعندما جاءتهم سوره القدر أخذ المتخيل الجمعي في سرد أحداث ومعجزات عظيمه تتمثل كل سنه من نزول الملائكة والروح الي سماء الدنيا وبياض الشمس في اليوم التالي وغيرها من المتخيلات عن الجنة وما أُعد لهم فيها.

تبدأ السورة (أنا انزلناه)، وكأنه حديث متصل والمتلقي على دراية بهذه الهاء وعلى من تعود فالبعض أراد للهاء ان تكون عائده على القرآن ولكن القرآن لم يكن قد تنزل كله فالسورة اما في نهاية الفترة المكية او أوائل سنين الهجرة والمرجح انها نزلت في السنه الاولي للهجرة وترتيبها الخامس والعشرون في النزول، وكقوله (ورتل القرآن ترتيلا) حين لم يتنزل القرآن كله وعلماء اللغة يرونها قراءة ليتورجية "استباقيه للنص"، وبعض آخر ادعي ان الهاء تعود علي جبريل الذي كان وسيطا مكلفا بالنزول وان السورة هنا تتحدث عن واقعة بعينها ليتم تقديسها وهي يوم تقديم الرسالة والنبوة الي محمد من جبريل.

واستخدم الله الفعل (نزل) بصيغ متعددة في النص نزل وانزل وتنزل وتتنزل في مواقع كثيرة من القرآن وجاء أيضا نزولا من اعلي أي أسفل كنزول جبريل او نزولا بمعني التصديق والحفظ أي الوقوع في القلب، وهذين المعنيين يتفقا في نزول القرآن من السماء الي الأرض او نزول جبريل بالرسالة لتقع في قلب الرسول.

(القدر) هل هو بمعني المكتوب وما أُحيط لنا كما أراد اغلب المفسرون كما في قوله (والقمر قدرناه منازل) ام بمعني القيمة كما في قوله (وما قدروا الله حق قدره)، او انه المعني السرياني كما فسره النصارى ففي السريانية كلمه القدر تعني نجم المسيح وان هذه السورة تتحدث عن ميلاد المسيح.

وشهر، حيث كان العرب يستخدمون الأحرف بدون تنقيط لذا فشهر قد تكون (سهر) أي ليله بدلا من شهر. وألف شهر بعض المفسرين قالوا هي الألف شهر التي تحدث عنها الرسول حين كان يروي قصص نساك اليهود الذين حاربوا في سبيل الله ألف شهر، ومفسرون آخرون قالوا انها نبوءة الله في حكم بني أميه (الا ان حكم بني أميه كان أربع وتسعون سنه أي أكثر من ألف شهر).

أسئلة كثيرة .....

هل هذه الليلة كل عام أم انها قد انقضت بوفاة الرسول كما يفهمها -حتى الآن- الشيعة!

(سلام هي حتى مطلع الفجر) هذه الآية قد ذكرت في انجيل متي السورة الثانية الآية الثالثة عشر (وظهر فجأة مع الملاك جمهور من الجند مسبحيين لله وقائلين: سلام هي حتى مطلع الفجر)

تاريخ السابع والعشرون من رمضان هو تاريخ وفاة (ماني) للمعتقدين بالديانة المانوية حيث مات في السابع والعشرين من شهر الصوم عندهم!

الخلاصة هنا ان ما وصلنا من هذه السورة هو نتاج صراع أيديولوجي بين اليهود والنصارى والمسلمين الأوائل لاحتكار الاله ونصوصه وهذا ممتد الي جميع النص القرآني، ثم مجموعة من المتخيلات عند أهل السنة لاستدعاء الرحمة وصورة الجنة وخصوصية المغفرة في معجزة ارادوها دوما تشخيصية.

وان هذه المتخيلات تكون حاضرة خاصه في حالات ضعف الأمم وان المسلمين الأوائل كانوا غير معنيين كثيرا بتلك الروايات كما نرويها ونقدسها نحن.